رابطة العالم الإسلامي
الأمانة العامة
الإدارة العامة للمؤتمرات والمنظمات

الثقافة الإسلامية
في مواجهة الغزو الثقافي في العصر الحديث

إعداد

الدكتور إبراهيم سعيد أبو عقاب

مقدم إلى مؤتمر مكة المكرمة الخامس عشر

الثقافة الإسلامية.. الأصالة والمعاصرة

الذي تنظمه

رابطة العالم الإسلامي

مكة المكرمة

٤ - ٦ / ذو الحجة / ١٤٣٥ هـ
٢٨ - ٣٠ / سبتمبر / ٢٠١٤ م

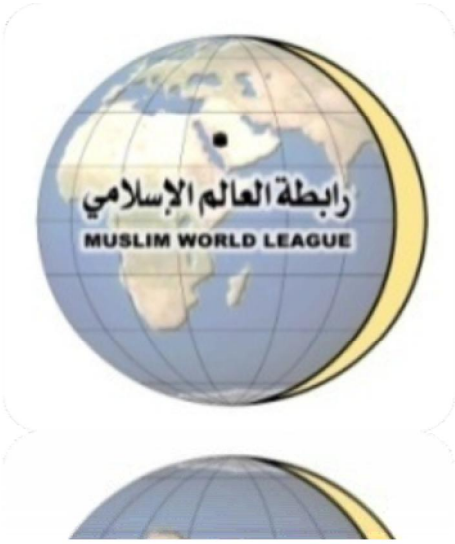

رابطة العالم الإسلامي

مكة المكرمة - المملكة العربية السعودية

صندوق البريد (٥٣٧) أو (٥٣٨) مكة المكرمة (٢١٩٥٥)

هاتف: ٠٠٩٦٦١٢٥٦٠٠٩١٩- الفاكس: ٥٦٠١٣١٩-٥٦٠١٢٦٧

برقياً: رابطة - مكة، تلكس: ٥٤٠٠٠٩ و٥٤٠٣٩٠

www.themwl.org

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

مقدّمة البحث

الحمد لله الذي قيّض لهذا الدّين من كل خلَف عُدولَه؛ ينْفُون عنه تحريفَ الغالين، وانتحالَ المبطلين، وتأويلَ الجاهلين، والصّلاة والسّلام على إمام المرسلين، محمّد وعلى آله وأصحابه أجمعين، ومَن تبِعهم بإحسان إلى يوم الدّين، أمّا بعد:

ففي هذا الوقت الذي تشتدّ فيه هجمةُ الأعداء على ثقافتنا وهويتنا، بإطلاق الأوصاف الجائرةِ عليها ومحاولةِ تشويهها ووصفِها بالإرهاب وهي التي تتبرّأ منه على الدّوام؛ فقد اخترتُ أن أقدم ورقة عمل حول دور الثقافة الإسلامية في مواجهة الغزو الفكري والثقافي في العصر الحديث، وقد جاءت هذه الورقة في تمهيد ومبحثين وتسعةِ مطالب، وذلك على النحو الآتي:

التمهيد: وتناولتُ فيه تعريفَ كلٍّ من الثقافة الإسلامية والغزو الثقافي ودلالات التعريفين.

المبحث الأول: تاريخ ومراحل الغزو الثقافي في العصر الحديث.

المطلب الأول: نبذة تاريخية عن الغزو الثقافي في العصر الحديث.

المطلب الثاني: خطورة الغزو الثقافي في العصر الحديث وامتداداته.

المطلب الثالث: آثار ومظاهر الغزو الثقافي على الأمّة الإسلامية في العصر الحديث.

المطلب الرابع: ضوابط الأخذ من الثقافات المعاصرة.

المبحث الثاني: دور الثقافة الإسلامية في مواجهة الغزو الثقافي الحديث.

المطلب الأول: التحذير من الغزو الثقافي (في الكتاب والسنّة).

المطلب الثاني: ضرورة تدريس مادة الثّقافة الإسلامية التي تجمع بين الأصالة والمعاصرة.

المطلب الثالث: سمات الثقافة الإسلامية القادرة على مواجهة الغزو الثقافي الحديث.

المطلب الرابع: الأساليب الناجعة في مقاومة الغزو الثقافي الحديث.

المطلب الخامس: مستقبل الثقافة الإسلامية.

الخاتمة: وتتضمن تلخيصاً للبحث والتوصيات.

وقد اعتمدت في هذا البحث المناهج العلمية: المنهج التاريخي، والوصفي، والتحليلي، والاستنباطي.

التمهيد

أولاً: تعريف الثّقافة الإسلامية ودلالاتُ التعريف.

شاع في هذا العصر إطلاق مصطلح «الثقافة الإسلامية» على الدّراسات التي تُعنى ببلورةِ صورةٍ عامةٍ مترابطةٍ عن الإسلام عقيدةً وشريعةً، تُمَكِّن المطّلعَ عليها من فهمه والتّحصّنِ بهذا الفهم من أسباب الانحراف الفكري، وإعطائِه المقدرةَ على تمييز الغثّ من السّمين من الأَفكار المطروحة في السّاحة الإسلامية كمنافِسةٍ أو مناقضةٍ لثقافتنا، وقد تبنّت معظمُ الكليّات والمعاهد هذا المصطلحَ؛ لما يتَّصف به من مزايا لا تتوفرُ في غيره من المصطلحات، كمصطلح الفكر الإسلامي، والحضارة الإسلامية، وغيرها من المسمّيات، ويظهر ذلك واضحًا من خلال التعريف اللُّغوي للفظة الثّقافة.

قال في لسان العرب؛ تحت باب [ثقْف]: «ثَقِفَ الشيءَ ثَقْفًا وثِقافًا وثُقُوفةً: حَذَقَه، ورجل ثَقْفٌ كَضَخْم، وثَقِفٌ وثَقُفٌ: حاذِقٌ فَهِم... وثَقِيفٌ لَقِيفٌ بَيِّنُ الثَّقافةِ واللَّقافة، ورجل ثَقْفٌ لَقْفٌ: إذا كان ضابطًا لما يَحْوِيه قائمًا به، ويقال ثَقِفَ الشيءَ: وهو سُرعةُ التعلّم، وثَقُفَ الرجلُ ثَقافةً: أي صار حاذِقًا خفيفًا.. ومنه المُثاقَفةُ، وثَقِفَ أَيضًا ثَقَفًا مثل تَعِبَ تَعَبًا: أَي صار حاذِقًا فَطِنًا فهو ثَقِفٌ.. ففي حديث الهِجْرةِ: وهو غلام لَقِنٌ ثَقِفٌ؛ أَي ذو فِطْنةٍ وذَكاء، والمراد أَنه ثابت المعرفة بما يُحتاجُ إليه»[(١)].

فمعاني الثقافةِ تدور في لسان العرب حول: الحذْقِ، والفطْنة، والضّبط، وسرعةِ التعلُّم، والذّكاءِ، وتقويم المعْوجِّ، وهذه هي الصفات الضّرورية

(١) ابن منظور، محمّد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري، لسان العرب، ٩/ ١٩وما بعدها.

لمواجهة الغزو الثقافي، لما ينطوي عليه من مكر ودهاء وخداع؛ فما لم يُواجَه بفطنةٍ وذكاء ومعرفة عميقة بالإسلام؛ فإنّه سينطلي على المستهدفين به وينجح في حرفِهم عن جادّة الصّواب؛ فكان اختيارُ مصطلح الثقافة الإسلامية منسجماً مع نفسه، محققاً لأهدافه إنْ أُحسِن استغلالُه والإفادةُ منه.

وأمّا المعنى الاصطلاحي للثقافة الإسلامية فقد تعددّت طرقُه وتنوّعت أساليبُه، وقد اخترتُ تعريفاً لها يتصف بالشمول والجمع بين الأصالة والمعاصرة، وهو أنها: «علم دراسة التّصوّرات الكليّة والمستجِدّات والتّحدّيات المتعلقة بالإسلام والمسلمين بمنهجيّة شمولية مترابطة»[(١)].

ثانياً: تعريف الغزو الثّقافي:

قال ابن فارس في معجم مقاييس اللّغة، باب [غزو]: «.. الغَزْو: ويقال: غَزَوت أغزو، والغازي: الطَّالِبُ لذلك، والجمع غُزَاة وغُزِيٌّ»[(٢)].

وقال الفيروزآبادي: «غَزَاهُ غَزْواً: أرادَهُ وطَلَبَه وقَصَدَه، كاغْتَزاهُ، وسارَ إلى قتالِهِمْ وانْتِهابِهِم غَزْواً وغَزَوَانًا وغَزاوَةً، وهو غازٍ جمع غُزَّى وغُزِيٌّ»[(٣)].

فالغزو بمعنى طلب الشيء؛ يدلُّ على الرغبة العارمة لدى القائمين على الغزو الثقافي في إفساد تفكيرِنا ومحاولةِ تدميره بشتى الطرق، وقتل الفكر لا يقلُّ

(١) أبو يحيى ورفاقه، محمّد أبو يحيى، الثّقافة الإسلامية -ثقافة المسلم وتحديات العصر-، ص٢١.

(٢) أبو الحسين، أحمد بن فارس بن زكريا، معجم مقاييس اللغة، ٤/ ٤٢٣، تحقيق عبد السّلام هارون.

(٣) الفيروز آبادي، محمد بن يعقوب، القاموس المحيط، فصل الغين.

خطورةً عن قتل النفس، وهم حريصون على ذلك مهما كانت المعوّقات؛ لأن طريقهم واضحةٌ ولو تأخرت نتائجُها أو تعسّرت، فإذا أضيفت الكلمةُ إلى الثّقافة دلّت على نوع خاص من الغزو وهو تغيير الثقافات والعملِ على فرضها، وإلزام الآخرين بها بشتى الطرق لتيسيرِ السيطرة على أصحابها.

وأمّا المعنى الاصطلاحيُ للغزو الثقافي؛ فقد تعدّدت طرقه وتنوّعَت، وقد اخترتُ منها التعريفَ الآتي لدقّته وإحاطته؛ وهو أنه: «الوسائل غير العسكرية التي اتخذها الغزو الصليبي لإزالة مظاهر الحياة الإسلامية، وصرف المسلمين عن التّمسك بالإسلام، مما يتعلق بالعقيدة وما يتصل بها من أفكار وتقاليد وأنماط وسلوك»[١].

(١) محمد قطب، واقعنا المعاصر، ص١٨٢.

المبحث الأول

تاريخ ومراحل الغزو الثقافي في العصر الحديث

المطلب الأول: نبذة تاريخية عن الغزو الثقافي في العصر الحديث

بدأ الغزو الثقافي للأمة الإسلامية بعد فشل الحروب الصليبية الأولى وإخفاقها في تحقيق أهدافها عسكرياً في القرنين الحادي عشر والثاني عشر الميلاديين، وبعد الحملة الصليبية الثامنة تحديداً التي انتهت بفشلٍ محقّقٍ تَمثَّل في وقوع قائد الحملة لويس التاسع ملك فرنسا في الأَسْر في مدينة المنصورة بمصر، وبذْلِهِ فديةً عظيمة مقابل تخليصه، فبعد عودته إلى فرنسا أشار باستبدال الغزو العسكري بالغزو الفكري، وبدأ علماء أوروبا عملية «الاستشراق» ودراسة الفكر الإسلامي للنفوذ من خلاله إلى الطعن في الإسلام والدّس عليه، ثمّ تبِعه التبشير «التّنصير» بهدف إخراج المسلم من دينه[1].

ولمّا عادوا لغزو المسلمين ثانية في أواخر القرن الثامن عشر فيما سُمِّي زُوراً وبهتاناً بالاستعمار- أي إعمار، وهو في الحقيقة تخريب لها - كانت قد تبلورت فكرة الغزو الثقافي عندهم؛ فاستغلوها أحسن استغلال في السّيطرة الثقافية، وتمّ ذلك عن طريق وكلاء مخلصين لهم مستعدين لتطبيق مخططاتهم بحذافيرها؛ حتى إذا رجعوا إلى بلادهم؛ ضمنوا بقاء تأثيرهم وتوسيع دائرته عن طريق هؤلاء الوكلاء الذين باعوا دينهم بدنياهم، وكان من أخطر ما تركوه: إحلال القوانين الوضعية مكان الشريعة الإسلامية فيما سُمي «بالعلمانية»، وامتدت

(١) انظر: جريشة، والزيبق، علي محمد، ومحمد شريف، أساليب الغزو الفكري للعالم الإسلامي، ص١٩، وانظر: واقعنا المعاصر، مرجع سابق، ص ١٨٢.

هذه الفترة حتى تزامنت مع إعلان إلغاء الخلافة العثمانية سنة ١٩٢٤ م على يد «أتاتورك» بدفعٍ وتخطيطٍ من يهود الدونمة ومعاونة الإنجليز، وبذلك أصبح العالم الإسلامي فريسةً سهلةً للدول العظمى يتقاسمونها كما يريدون ويتصّرفون فيها كما يشاؤون.

ومن الأمثلة على هذه الطريقة في التّمكين للغزو الثقافي: الحملة الفرنسية على مصر بقيادة «نابليون» سنة ١٧٩٨م؛ الذي حاول أن يظهر فيها بمظهر الحريص على مصلحة الأمة الإسلامية في بادئ الأمر، ثمّ ظهرت نواياه الخبيثة فيما بعد، ولم يتمالك نفسه فضرب الأزهر بالمدفعية؛ مما أدّى إلى غضب المصريين وخروجه من مصر مخلّفاً وراءه القائد «كليبر» الذي قُتل على يد سليمان الحلبي.

ومن الأمثلة أيضاً على استصحاب الغزو الثقافي إلى جانب الاحتلال العسكري؛ ما فعله الإنجليز عند احتلالهم مصر سنة ١٨٨٢ م، إذ اختطوا سياسةً تختلف عن سياسة فرنسا، فآثروا العمل ببطء ودون اصطدام مباشر مع الثقافة الإسلامية عن طريق إفساد التعليم، وقد تولى ذلك مستشار وزارة المعارف «دنلوب» بإغراءٍ وتخطيطٍ من المعتمد البريطاني «اللورد كرومر»؛ فأنشأ المدارس العلمانية التي تغذّي فكرة فصل الدّين عن الحياة، ورتّب لها معلمين يتقاضَوْن رواتب عالية؛ في حين أُهمل طلبةُ الأزهر فكانوا لا يحصلون بعد تخرجهم إلاّ على ما يكاد يسدّ حاجاتهم الضرورية؛ فانصرف النّاس عن الأزهر وأقبلوا على المدارس الجديدة طمعاً في امتيازاتها العالية، وفعلوا الأمر نفسه مع مدرسي اللغة العربية في تلك المدارس؛ فأهملوهم ورفعوا من شأن باقي المدرسين؛ فأدّى ذلك إلى ضَعف الطلاب في لغة دينهم؛ والتخلف العلمي في العلم الشرعي عند خريجي المدارس الجديدة، وتبعه ضعف الالتزام بالدين،

كل ذلك دون التّعرض للمسلمين بأذىً؛ فكان مفعولهم أشدّ وأنكى من مفعول الفرنسيين، وخرج الإنجليز وخرج الفرنسيون، ولكن بقيت سياستهم قائمةً، والناس لا يَحيدون عن منهاجهم[١].

واستمرت هذه التبعية الفكرية للغرب حتى اكتملت حلقاتها بما سُمي «بالعولمة» في العقدين الأخيرين من القرن الماضي، بهدف اجتثاث الثقافة الإسلامية من جذورها، ولتحقيق أهدافها؛ تسلّحت بما تفتّقت عنه عبقريتُهم من وسائل الاتصال الحديثة، وتذرعوا لفرضها بالإنعاش الاقتصادي للدول المتخلّفة؛ ولكنها كانت تخفي وراءه السمّ النّاقع المتمثّل في السّيطرة الكاملة على عقول النّاس؛ خدمةً لأهداف الصهيونية العالمية، وتنفيذاً لمخططاتها وهي محتجبةٌ عن أنظار العالم، ولما للعولمة من خطورة تزيد عن كل ما أوردناه فيما مضى من وسائل الاستعمار الفكري؛ فلا بد من كلمة مختصرة حولها.

ذكر الدكتور صالح الرّقب من الجامعة الإسلامية في غزة - في مقدمة بحثه عن العولمة الذي قدّمه في مؤتمر العولمة وانعكاساتها؛ الذي انعقد في الأردن عام ٢٠٠٨ م - ما يدل على جذورها فقال: «يُعتبر العالِم الكنَدي «مارشال ماك لوهان» -من جامعة تورنتو- أوّل من أشار إلى مصطلح العولمة؛ عندما صاغ في نهاية عقد الستينيات مفهومَ القرية الكونية، ثم تبعه «زبيغنيو بريجينسكي» مستشار الرئيس الأمريكي كارتر (١٩٧٧م- ١٩٨٠م) الذي أكدّ على ضرورة أنّ تقدّم أمريكا- التي تمتلك ٦٥٪ من المادة الإعلامية على مستوى العالم- نموذجاً كونياً للحداثة، يحمل القيم الأمريكية في الحرية وحقوق الإنسان»[٢].

---

(١) المرجع السابق، ص ٢٠٣-٢٠٨.

(٢) الرقب، صالح حسين سليمان، العولمة الثقافية آثارها وأساليب مواجهتها، ص ١، من بحث منشور في كتاب مؤتمر العولمة، عمّان ـ الأردن، سنة ٢٠٠٨ م.

ويقول: «إنّ المهتمين بقضية العولمة متفقون تقريباً على أنّ الكلمة جديدة، ولكنّ ما تصفه ليس بجديد، بل يرى بعضهم أنّ السير نحوها بدأ منذ مئات السنين، ولقد أصبح مصطلح العولمة متداولاً منذ بداية التسعينيات، وأصبح عَلَماً على الفترة الجديدة التي بدأت بتدمير جدار برلين عام ١٩٨٩م وسقوط الاتحاد السوفييتي وتفككه، وانتهت بتغلّب النظام الرأسمالي الغربي على النظام الشيوعي، وانفراد الولايات المتحدة الأمريكية بقيادة العالم المعاصر»[١].

وعرّفها المفكر الفرنسي روجيه جارودي بما يدل على حقيقتها ونواياها الخبيثة فقال: «نظام يُمَكّن الأقوياءَ من فرض الدكتاتوريات اللاإنسانية التي تسمح بافتراس المستضعفين بذريعة التبادل الحرّ وحرية السوق»[٢].

ولو نظرنا إلى واقعنا المعاصر نظرةً سريعة؛ لطالعنا بكلّ يسرٍ مظاهر هذه العولمة في جميع مناحي حياتنا: السّياسية، والاقتصادية، والاجتماعية، والثقافية، فنجد النظامَ الرأسماليَّ الديمقراطي السائد كنمطٍ من أنماط الحكم المستوردة يسوس العالم، رغم ما أنتجه من ظلم فادح تَغطّى بغطاء الحرية الموهومة؛ فقد جعل الناسَ فريقين: فريقاً في القمّة وهو الأقل عدداً والأكثر نفوذاً، وفريقاً في الحضيض يتحكم الأولون في قُوتِه ولا يملك قراراً واحداً بما طوّقه من الحاجة إلى زعماء العولمة، ولم يقتصر تأثير العولمة على النّاحيتين السياسية والاقتصادية؛ بل امتد إلى العادات اليومية للمسلمين؛ كطريقة اللباس والأكل والشرب والحفلات، وسيأتي مزيدٌ من ذلك عند الحديث عن آثار العولمة والغزو الثقافي.

---

(١) المرجع السابق، ص ٢.

(٢) المرجع السابق، ص ٤.

المطلب الثاني: خطورة الغزو الثّقافي في العصر الحديث وامتداداته

يُجمِع الباحثون في موضوع الغزو الثّقافي على أنّه أشد ضرراً وأكثر خطراً من الغزو العسكري، ولا أدَلَّ على ذلك من الآثار السيّئة التي خلّفها في جميع مناحي حياة المسلمين في الوقت الحاضر، ووجه خطورته: سلْبُه للهُوية دون مقاومة، وطمْسُه للشخصية والافتخار بذلك باسم التقدّم والرقِيّ الحضاري، وجعلُه الناسَ مسلوبي الإرادة لا هَمّ لهم إلاّ العملُ بما يمليه عليهم سادتُهم والسّعيُ إلى إرضائهم بكل وسيلة.

أوجه وأسباب خطورة الغزو الثّقافي:

١- إذا كان الغزو العسكري يحتل الأرضَ؛ فإن الغزو الثقافي يحتل العقلَ والنفسَ، ويوجهها لتحقيق إرادة الغازي وتنفيذ مخططاتِه عن طواعية واختيار، وقد يصل الأمر إلى الشعور بالزهو والافتخار وهي تحقق أهداف عدوّها، وفي هذا من المهانة والذّلّ أضعافُ ما يحصل من الغزو العسكري.

٢- يمتاز الغزو الثقافي بالشّمول والسّعة والامتداد؛ بحيث يشمل جميع نواحي الحياة، ويؤَثر على جميع الفئات المستهدفة على مستوى الفرد والمجتمع؛ من المتعلمين وغيرهم[(١)].

٣- خسائره قليلة مقارنةً بالغزو العسكري، بل إنه بلا خسائر؛ لأنّ تطويع المستهدفين لهم؛ يمَكِّنُهم من السيطرة على منابع الثروة بطواعيةٍ واختيار كما يحصل في الامتيازات.

---

(١) انظر: الثقافة الإسلامية وتحديات العصر، مرجع سابق، ص ٢٣٣، ٢٣٤.

٤ - تأثيره أعمق، وأمَدُه أطول من أمَد الغزو العسكري.

٥ - يؤدي مع مرور الوقت إلى انقلاب المفاهيم، وتغيير القيم، وصناعة أخلاق جديدة نافرة عن الأخلاق الأصلية، ويَحدث كل ذلك دون ضجيج ولا مقاومة تُذكر.

هذه بعض نقاط تدلّ على حجم ومدى خطورة الغزو الفكري أو الثقافي، وبالجملة فهو أشدّ خطراً وأعظم فتكاً من الغزو العسكري؛ لما فيه من تأثير على النّاحية المعنوية للأمة التي بفسادها تَفسد كل النواحي الأخرى؛ لارتباطه بالهزيمة النفسية، والتبعية الذليلة للمستعمر، يقول الدكتور عبد الستار فتح الله: «ويتميز الغزو الفكري بالشّمول والامتداد؛ فهو حرب دائمة دائبة، لا يحصرها ميدان، بل تمتد إلى شُعب الحياة الإنسانية جميعاً، وتسبق حروبَ السلاح وتواكبُها، ثم تستمر بعدها لتكسبَ ما عجَز السّلاح عن تحقيقه؛ فتشُلُّ إرادة المهزوم وعزيمتَه حتى يلينَ ويستكين، وتُنقِض تماسكَه النفسي حتى يذوب كِيانُه؛ فيقبلُ التّلاشي والفناءَ في بوتقة أعدائه أو يصبح امتداداً ذليلاً لهم، بل ربما تبلغ حدّاً من الإتقان يصل بها إلى أغوار النفس؛ فتقلبَ معاييرها ومفاهيمها، وتشكلَّ لها أنماطاً جديدة في السّلوك والأخلاق والأذواق التي تجعل المهزوم يفخر فيها بتبعيته، ويراها شرفاً خليقاً بالرضا والشكران»[1].

(١) عبد الستّار، فتح الله سعيد، من بحث له نشرتْه جامعة الإمام محمد بن سعود في كتاب بعنوان: الغزو الفكري والتيارات المعادية للإسلام، ص ١٨٠، الرياض، ١٤٠١ هـ.

المطلب الثّالث: آثار ومظاهر الغزو الثقافي على الأمة الإسلامية في العصر الحديث.

وهي آثار سلبية تختلف اختلافاً جوهريا عن الآثار القديمة للغزو الثقافي، وهذا الاختلاف يتمثّل في: إلغاء الخلافة الإسلامية، وإقصاء الحكم بالشريعة الإسلامية في معظم البلاد الإسلامية، وإحلال القوانين الوضعية مكانها، وهذا ما لم يحصل في التاريخ الإسلامي قط رغم شدة الهجمات التي تعرَّض لها المسلمون، وقد ترتَّب على ذلك فسادٌ في التصوّر الصحيح للإسلام عند كثير من المسلمين.

ويمكن أن نُجمل أهمّ تلك الآثار السّلبية فيما يلي:

١- التّخلُّف العقائدي الذي نشأ عنه تخلُّفٌ في جميع نواحي الحياة[١]، والمقصود بالتخلُّف العقائدي: فساد التّصور الصّحيح لمقتضى «لا إله إلاّ الله»، والاكتفاء بترديدها دون فهمٍ لمعناها الحقيقي؛ ممّا أعطى صورة باهتةً عن حقيقة المسلم ودوره في الحياة.

٢- محاولة التّشكيك في نبوة محمد ﷺ وما جاء به من عند الله (القرآن والسنّة).

٣- إثارة الشّبهات حول بعض التّشريعات؛ كالرِّقّ، والطلاق، والميراث، وحقوق المرأة.

٤- تجنيد جماعات من أبناء الأمة الإسلاميّة للدّعوة إلى التّغريب الثقافي، وتمجيد الثقافة الغربية مقابل الحطّ من شأن الثقافة الإسلامية؛ واتهامها بالرجعية وعدم قدرتها على مجاراة التقدم العلمي، ثمّ إيصالهم بعد ذلك

(١) واقعنا المعاصر، ص ١٥٣، مرجع سابق.

إلى مراكز صُنع القرار في العالم الإسلامي لتسهيل مهمتهم التّغريبية.

٥- في التعليم: استبدال المنهج الإسلامي الذي يقوم على المواءمة بين العلم والدين؛ بمنهج تعليمي غربي يقوم على فصل العلم عن الدين؛ إقراراً «للعلمانية» التي قامت على فصل الدّين عن الدولة والعلم؛ فأدّى ذلك إلى تخريج أجيال لا تعطي الدّينَ الأهمية اللائقة به.

٦- تشويه الصّورة الحقيقية للإسلام في الغرب؛ بالدعاية الكاذبة والتُّهَم الباطلة، كاتهامه بالإرهاب.

٧- إيجاد الحركات الفكرية الهدّامة المنتسبة للإسلام زُوراً وبهتاناً، كالقاديانية، والأحمدية، والبهائية، (ويُلحَق بهم أصحاب الاتجاه العلماني في الكتابة حول الإسلام دون تقيّد بضوابط وقواعد فهمه ودراسته)، وإيجاد الحركات والأفكار الهدامة التي لا تنتسب للإسلام، كالماسونية، والعلمانية، والوجودية، والميكافيلية، والماركسية، والشيوعية، ونظريات (داروين، وفرويد، ودوركايم)[١].

٨- الدّعوة إلى تحرير المرأة المسلمة، بإخراجها من بيتها بكامل زينتها لتزاحم الرجال في سوق العمل؛ لتَعُمَّ بذلك الفوضى الجنسية، وتنهدم الأسرة ويَضعُف المجتمعُ وينشغل عن معالي الأمور.

٩- الدّعوة إلى إحياء القوميات والعصبيات الجاهلية، والإشادة بالحضارات القديمة كالفرعونية في مصر، والآشورية في العراق، والفينيقية في الشام؛ لترسيخ الفُرقة بين المسلمين والقضاء على وحدتهم.

---

(١) انظر: التميمي،عزّالدين الخطيب ورفاقه، نظرات في الثقافة الإسلامية، ص ٤٨، وانظر: كوكش، يحيى رامز، والفتياني، خالد إبراهيم، الواضح في الثقافة الإسلامية، ص ١٦٨.

١٠- محاربة اللغة العربية لغة القرآن؛ فإضعافها يُسهم في إساءة فهم الإسلام؛ فيَبعُدُ المسلم عن دينه.

١١- تشويه التاريخ الإسلامي بإظهار الصّور السّيئة وتضخيمها، وإخفاء الصّور الحسنة وإنكارها.

١٢- صبغ مظاهر الحياة الإسلامية بالصِّبغة الغربية؛ كطريقة اللّباس، وطريقة الأكل والشرب، وأسماء الأطعمة والأشربة، والكلمات اليومية المتبادلة- كالتحية وغيرها - وطريقة الصّناعة والتجارة، وشكل الشّوارع وما فيها من إعلانات، وطريقة البناء، ودورات المياه وطريقة استعمالها، وما يُعرض في وسائل الإعلام من صور إباحية، ومسلسلات تدعو إلى الانحلال الأخلاقي وتهديم الروابط الأسرية، والحفلات في الفنادق والنوادي الليلية، وطريقة الضيافة في الطائرات وسفن النقل، والألعاب الرياضية كالجمباز والسباحة، وألعاب الكمبيوتر وغيرها من مظاهر مدلولاتها غير إسلامية بل مناقضة للإسلام.

المطلب الرابع: ضوابط الأخذ من الثقافات المعاصرة

إنّ الإسلام حينما أمر بالاستقلال الفكري والتّميز الثقافي؛ لم يمنع أتباعَه من الاستفادة من ثقافة الآخرين؛ «فالحكمة ضالة المؤمن فحيث وجدها فهو أحق بها»[(١)]، ولكنه وضع ضوابط الأخذ من حضارة وثقافة الأمم الأخرى؛ ليحفظ أتباعه من الذوبان في بوتقة الآخرين، وفقدان الشخصية الإسلامية،

(١) أخرجه الإمام الترمذي، عن أبي هريرة بزيادة «الكلمة الحكمة» وقال عقبه: غريب، وإبراهيم بن الفضل المدني يضعّف في الحديث، انظر: جامع الترمذي بتحقيق أحمد شاكر، برقم (٢٦٨٧) باب ما جاء في فضل الفقه على العبادة، ١٠/ ٢٠٩.

ويمكن إجمال تلك الضوابط فيما يلي:

أن لا يتعارض المأخوذ منها مع ثوابت ديننا الحنيف؛ فلا يجوز مثلاً أن نستعير من ثقافتهم تصوّرَهم عن الإنسان والكون والحياة؛ لأنّ أي تصوّر لهذه الأمور لا يُستمد من الله سبحانه - خالق الحياة- سيكون ناقصاً مشوّهاً، ولا يجوز- تبعاً لذلك - أن نستعير منهم عاداتهم الاجتماعية؛ كالاختلاط بلا ضوابط، وشرب الخمر، ولعب القمار، والرقص، وما إلى ذلك مما يتناقض مع شريعتنا، ولا يجوز كذلك أن نعتقد بالنظريات العلمية الغربية التي تتناقض مع ديننا؛ كنظرية «دارون» التي تشكك في أصل الإنسان ككائن مستقل، أو نظرية «فرويد» التي تجعل الجنس هو المحرِّك لجميع نشاطات الإنسان في الحياة، أو نظرية «ماركس» التي تجعل من النّاحية الاقتصادية محوراً تتشكل حوله المعتقدات والأخلاق وتقبل التغير باستمرار، أو نظرية «دوركايم» الاجتماعية التي لا تقيم أي وزن للأسرة وللروابط الاجتماعية، أو نظرية «ميكافيلي» في الحكم التي تبيح للحكّام أن يفعلوا ما يشاؤون، لتتمَّ لهم السّيطرة الكاملة على الشعوب، وغير ذلك من النّظريات التي لا يقبلها الإسلام.

وأمّا الذي يجوز لنا أن نأخذه من الثقافة الغربية؛ فهو ما يتعلق «بالمدنية»، بشرط أن تخلو من أي مظهر يتعارض مع ديننا-كالتماثيل أو الصلبان وما إلى ذلك- مما يحمل طابعاً خاصاً بعقيدة معينة، وهذه النواحي المدنية تختص بالأمور الناتجة عن التقدم العلمي في جميع المجالات: كالطّب، والهندسة، والوسائل الزراعية، والمواصلات، ووسائل الاتصال كالإنترنت والفاكس وغيرها، بشرط أن نتحكم في طريقة استخدامها، فنجعلها تتوافق مع الشّريعة، وكذلك يجوز لنا أن نستفيد من النّواحي التّنظيمية لبعض شؤون الحياة بما لا يتناقض مع ديننا وشريعته المطهّرة.

المبحث الثّاني
دور الثقافة الإسلامية في مواجهة الغزو الثقافي الحديث

المطلب الأول: التّحذير من الغزو الثّقافي في الكتاب والسّنة

بيّن اللهُ عزّ وجلّ في كتابه الكريم حرص الكفّار على صرف المسلمين عن دينهم بشتى الوسائل، فقال تعالى: ﴿ وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْحَقُّ ﴾ [البقرة: ١٠٩]، قال ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ في تفسيرها: «يُحذّر تعالى عبادَه المؤمنين عن سلوك طَرَائق الكفار من أهل الكتاب، ويُعْلِمُهم بعداوتهم لهم في الباطن والظاهر وما هم مشتملون عليه من الحسد للمؤمنين، مع علمهم بفضلهم وفضل نبيهم»(١)، وقال تعالى: ﴿يُرِيدُونَ أَن يُطْفِـُٔوا۟ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَيَأْبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴾ [التوبة: ٣٢]، فهذا الإباء من الله الأكرم؛ بشارةٌ للمؤمنين وأيُّ بشارةٍ، ومن يَقْدر مع قدرة الله ؟! فنورُ الله تامٌّ، والإسلامُ باقٍ، والأمّةُ منصورةٌ بفضله جلّ وعلا.

وفي آيات أُخر يحذّرنا الله سبحانه من طاعة الكافرين ومشابهتهم، كقوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن تُطِيعُوا۟ فَرِيقًا مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ يَرُدُّوكُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ كَٰفِرِينَ ﴾ [آل عمران: ١٠٠]، وقوله تعالى: ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ ٱلْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ ۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ ﴾ [الحديد: ١٦].

ومثل ما ورد في القرآن من التّحذير من الغزو الفكري؛ ورد كذلك في السّنة؛

---

(١) ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر، تفسير القرآن العظيم، ١/ ٣٨٢.

فمن ذلك إخبار النبيّ ﷺ أمّته بأنها ستتبع سنن اليهود والنّصارى بحذافيرها، فعَنْ أَبِي سَعِيدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «**لَتَتَّبِعُنَّ سَنَنَ مَنْ قَبْلَكُمْ شِبْرًا بِشِبْرٍ وَذِرَاعًا بِذِرَاعٍ، حَتَّى لَوْ سَلَكُوا جُحْرَ ضَبٍّ لَسَلَكْتُمُوهُ**»، قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللهِ؛ الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى؟ «**قَالَ فَمَنْ ؟!**»[(١)]، فهذا الحديث وإن جاء بصيغة الإخبار عمّا سيقع في الأمة من الركض وراء اليهود والنصارى لأخذ ما عندهم من أفكار وبدع وعادات؛ فهو يتضمن التّحذير من فعل ذلك؛ قال ابن عبد البرّ: «وكان ﷺ يحب مخالفة أهل الكتاب وسائر الكفار، وكان يخاف على أمّته اتباعَهم، ألا ترى إلى قوله ﷺ على جهة التّعيير والتّوبيخ: «**لتتّبعُن سَنَن الذين كانوا قبلكم حذو النعل بالنعل، حتى إن أحدهم لو دخل جُحرَ ضبٍّ لدخلتموه**»؟...»[(٢)].

المطلب الثّاني: ضرورة تدريس مادة الثّقافة الإسلامية التي تجمع بين الأصالة والمعاصرة

ترتكز أهميةُ بل ضرورةُ تدريس مادة الثقافة الإسلامية (التي تواكب التّحديات وتجمع بين الأصالة والمعاصرة) في الكليّات الجامعية والمتوسطة؛ على الدّوافع والأسباب التي أدّت إلى إعداد هذه المادة، وتتلخص في حاجتنا إلى إيجادِ تصوّرٍ شاملٍ لدى الطلاّب مبنيٍّ على الفهم العميق للإسلام عقيدة وشريعة؛ بعيداً عن الخلافات التي تُشوِّشُ الفكرَ وتشغلُ القلب؛ وذلك بالتّركيز على القضايا الأساس والتّعمق في فهمها، وإيجادِ التوّجُّهِ إلى العمل بمقتضاها،

(١) البخاري، محمد بن إسماعيل، الجامع الصحيح، باب ما ذُكر عن بني إسرائيل، حديث رقم (٣٤٥٦).

(٢) ابن عبد البَرّ، أبو عمر يوسف بن عبد الله، ٥/ ٤٥، نشر وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بالمغرب.

ثـمّ إيجـادِ القـدرةِ لـدى الطُّـلاّب في مرحلـة الدراسـات العليـا- أيّـًا كانـت تخصُّصاتهم- على مناقشة الأفكار الدّخيلة على الإسلام، وبيان أوجه المخالفة أو الموافقـة لـه، وتمكيـنهِم مـن التّصـدي- بفهـمٍ واعٍ شـموليٍّ للإسـلام- «للأيديولوجيات المعاصرة» والأفكار الغازية أيّـًا كـان مصدرها، ومحاكمتِها للشّريعة الإسلامية، وتنبيه المجتمع إلى خطرها.

يُضاف إلى ذلك ما تتمتع به الثقافة الإسلامية المعاصرة من اشتمالها على تأصيلٍ للقضايا المستجَدّة وبيان الحكم الشرعي فيها؛ مثل بعض القضايا الطبيّة (كالاستنساخ، والتّحكم في جنس المولود، ونقل الأعضاء البشرية في العلاج)، والقضايا الاقتصادية (كبطاقات الائتمان) وغيرها من القضايا المعاصرة، وذلك يتمّ بتفعيل «الاجتهاد» الذي يُعدّ مَيزةً من ميزات هذه الأمة المباركة؛ تضْمن بقاءَ وحيويّةَ الشّريعة الإسلامية؛ من خلال استيعابها لكل أمرٍ لا يتعارض مع مقاصدها؛ في الوقت الذي تحافظ فيه على أصالتها من خلال ثوابتها وأحكامها الأساس.

وعبّر عن وظيفة الثّقافة الإسلامية وأهميتها في الوقت الحاضر؛ الأستاذ عمر الخطيب في كتابه «لمحات في الثقافة الإسلامية» فقال: «أمّا الحديث في الثقافة الإسلامية؛ فإنه يتجاوز حدود المعرفة العقلية البحتة، لينفُذَ إلى القلب فيحرك المشاعرَ، ويفجّرَ في رُوح المؤمن تلك الطاقةَ الحيّةَ العاليةَ؛ التي تشدّه شدّاً محكمَ الأواصر إلى عقيدته الحقّة النّيرة، وشريعته الكاملة القويمة، وتعمّقَ فيه روحَ الولاء لأمّته الرائدة القائدة... وحين يكون ذلك الفهم والوعي والولاء والتّفاعل عميقـًا قويّـًا شاملاً؛ فلا بدّ أن تنبثق من ذلك روح جديدة تتسم بالإيمان الصّادق، والعملِ المنتج، والعزيمة القوية، وبذلك تتجددّ ثقة المسلمين بمهمتهم القياديـة الكبرى، وتتلاشى عواملُ الانهزام الفكري والنفسي، وتزولُ أعراض ذلك المرض العُضال: من الشعور بالنقص، وشيوعِ

الضّعف والخَوَر، والإخلادِ إلى الراحة... والخضوعِ لسلطة الأقوياء، والانبهارِ بحضارة الأعداء...»[١].

وجاءت فكرة تدريس مادة الثقافة الإسلامية أيضاً؛ من الشعور بالحاجة الماسة إلى مواجهة المواد التي تهتم بتدريس «الأيديولوجيات» المختلفة في الكليات التي تخضع لأصحاب تلك الأفكار، والتي يتأثر بها الدّارسون في تلك الكليات من أبناء المسلمين، ثم ينقلونها إلى بلادهم بثمن أو بالمجّان؛ فهَبّ الغيورون من المفكرين المسلمين إلى وضع مواد للثّقافة الإسلامية تواجه الثّقافاتِ التي يتشرَّبُها أبناءُ المسلمين؛ فكان لها أثرٌ في صدّ هجمة الأعداء على عقول أبناء الأمة الإسلامية، ويزدادُ تأثيرُها في التّحصين الثقافي إذا توفرت فيها عواملُ نجاحِها التي سيوضحُها المطلبُ الآتي، وبالله التوفيق.

المطلب الثالث: سمات الثقافة الإسلامية القادرة على مواجهة الغزو الثقافي الحديث

لا بدّ من توفُّر سماتٍ خاصةٍ للثّقافة الإسلامية؛ تجعلُها ذاتَ فاعليةٍ وتأثيرٍ، قادرةً على مواجهة الغزو الثقافي الحديث، وأبرز تلك السّمات والصّفات ما يلي:

١ - أن تُعرَض مسائلُ العقيدة الإسلامية فيها كما عرضها القرآن الكريم؛ بعيداً عن المناهج الفلسفية والطرق الكلامية؛ فأسلوب القرآن حين يعرض لمسائل العقيدة؛ يمتاز بالسّهولة والإقناع العقلي، ومخاطبة الفطرة؛ فهو يَلفتُ النّظرَ إلى عظمة الله تعالى وجليل صفاته، من خلال مظاهر قدرته سبحانه على الخلق والتّقدير، ولا يدخل في التّفاصيل المتعلقة بالكيفية؛ التي تؤدي إلى التيّه الفكري والاختلاف البَيني بين المسلمين.

---

(١) الخطيب، عمر عودة، لمحات في الثقافة الإسلامية، ص ٧.

٢- أن تحافظ الثقافة الإسلامية على أصالتها وثوابتها وهي تواكب الأحداثَ والتّغيرات؛ لتكون لها كلمتُها الصائبةُ فيها؛ التي ترجع إلى مصدرها الرّباني.

٣- أن تمتاز الثقافة الإسلامية بسلامة الفكر الذي يرتكز على التّوازن والاعتدال ومجانبة الغلو والتقصير، هذا الفكر الذي يؤدي إلى حسن التطبيق لها في الواقع.

٤- إدخال مادة الثّقافة الإسلامية ضمن المساقات الإجبارية في جميع التّخصصات في الجامعات، واختيار الأساتذة الأَكْفاء لتدريسها، وإعداد المناهج المناسبة لها، وتطويرها وتجديدها بحسب التّحديات التي تواجهها، والعمل على مواكبتها للتّطوّرات الحديثة التي يترتب عليها أحكامٌ شرعيةٌ جديدة؛ وتخصيص جماعة من العلماء لاستنباط تلك الأحكام وإضافتها لمناهج الثقافة الإسلامية.

٥- احتواء منهاج الثقافة الإسلامية على مقارنات علمية بين طريقة المنهج الإسلامي في معالجة القضايا المختلفة وبين المناهج الأخرى؛ لأنّ هذه المقارنات تؤدي إلى بيان ميزات المنهج الإسلامي الرّباني على غيره من المناهج الوضعية، ومن الأمثلة على تلك المقارنات: كتاب «بين الثّقافتين» للأستاذ محمد المبارك، وكتاب «ما يختلف فيه الإسلام عن الفكر الغربي والماركسي» للأستاذ أنور الجندي، وكتاب «حقوق الإنسان بين تعاليم الإسلام وإعلان الأمم المتحدة» للشيخ محمد الغزالي، وغيرها[١].

(١) انظر مع الهامش: الثقافة الإسلامية ثقافة المسلم وتحديات العصر، ص ٣٢، مرجع سابق.

٦- «توظيف المعارف والعلوم الإنسانية والتجريبية في دعم الثّقافة الإسلامية وتعزيزها وخدمة تدريسها؛ بحيث لا يكون ثمةَ انفصال بين ما يُعطَى فيها وما يُدرس في غيرها من المقرّرات الجامعية، ويمكن أن يتحقق ذلك بالتنسيق بين الأقسام المعنية وبين هيئة أعضاء التدريس العاملين فيها»[(١)].

المطلب الرابع: الأساليب الناجعة في مواجهة الغزو الثّقافي الحديث.

تكون أساليب مقاومة الغزو الفكري الغربي فعّالةً ناجعةً؛ حين نستحضر الجهد المبذول من قِبل أعداء الإسلام في محاربته والصّد عنه، ونُوقِن بأنّ ذلك جهدٌ مبذولٌ في الباطل؛ فلا بدّ من أن يقابله جهدٌ مساوٍ له أو يزيد عليه من أهل الحقّ، وفيما يلي بعض الأساليب المقترحة لمقاومة الغزو الثقافي:

١- استصحاب التّحذيرات القرآنية والنبّوية من طاعة الكفّار- وقد مرّ ذِكرُ بعضِها- واليقين بأنهم لا يريدون من طاعتنا لهم إلاّ إخراجَنا من ديننا؛ كما جاء في قوله تعالى: ﴿وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ﴾ [البقرة: ١٢٠]، وتوعية المسلمين بذلك في خُطب الجمعة والدّروس والإذاعة والتلفاز والإنترنت والصحف والمجلات.

٢- التّوعية المستمرّة بمواضيع وأساليب الغزو الفكري، وشمول هذه التوعية لجميع أصناف المجتمع، واستخدام جميع الوسائل المتاحة لإيصالها إلى جميع المسلمين.

---

(١) هندي، صالح وآخرون، الثقافة الإسلامية، ص ٣٥.

٣- تفريغ جماعة من أهل العلم الأكْفاء - وبخاصةٍ مَن درَسوا الثقافتين الإسلامية والأجنبية - لرصد الأفكار والمذاهب الغازية المنحرفة، والقيام بكشفها وبيان مدى مخالفتها لثقافتنا الإسلامية، وتوفيرِ وسائل الدعم المادية والمعنوية لهم؛ ليقوموا بواجبهم على أحسن وجه وأتمِّه، ثمّ تعميم ما كشفوه ورصدوه في جميع الوسائل المتاحة، وتخصيص مجلة دورية ليُنشرَ فيها ما يقومون به من جهد بشكل دوري، والاستعانة بدوائر الإفتاء وما يَصدر عنها، وعن المجامع الفقهية من قرارات في بيان الحكم الشرعي لتلك المذاهب والأفكار؛ ليكون رديفاً لتلك الأبحاث والدّراسات.

٤- توفُّر جماعة من أهل العلم المختصين على دراسة نتاج المستشرقين، واستخراجِ ما فيه من عيوب وإقرارِ ما فيه من حق، والتّحذيرِ من الأفكار المسمومة المبثوثة في كتبهم، والعملُ على تأليف دائرةِ معارفَ إسلاميةٍ لتكون بديلاً موثوقاً به عن دوائر المعارف الأجنبيةِ القائمة على دراسات هؤلاء المستشرقين بما اشتملت عليه من مغالطات مقصودة، أو أغلاط غير مقصودة.

٥- إعادة الثقة بالثقافة الإسلامية إلى الأجيال التي عايشَت الغزوَ الثقافي من خلال إدراجها في المناهج الدّراسية عند بواكير النضوج العقلي لدى الطلبة، وبيان مميزاتها النّابعة من مصدرها الرباني، وبيان مساوئ المناهج الوضعية وقصورها وعجزها عن تحقيق السّعادة للبشرية.

٦- تحذير المسلمين من «الأئمة المُضِلِّين»؛ الذين تخوّفهم النبيّ ﷺ على

أمته بقوله: «**وَإِنَّ مِنْ أَخْوَفِ مَا أَخَافُ: الأَئِمَّةَ الْمُضِلِّينَ**»[١]، ومن هؤلاء المُضِلّين: أولئك الذين يدعون إلى التّجديد غيرِ المبنيِّ على قواعد فهم الشريعة (التجديد غير المنضبط) الذي من شأنه أن يؤدي إلى تجاوزات خطيرة تُنسب إلى الشريعة زُوراً وبهتاناً، وإيّاهم عَنَى النّبيُّ ﷺ بقوله: «**سيكون في آخر أمتي أناسٌ يُحَدّثونكم ما لم تسمعوا أنتم ولا آباؤكم؛ فإياكم وإياهم**»[٢]، ومن الأمثلة على تلك التّجاوزات من المسموعات المحْدَثات، إفتاءُ بعضِهم بجواز لبس المرأة «للبنطال» وخروجها فيه متعطرةً، وبجواز الاختلاط إذا لم يكن فيه تلامسٌ بالأجساد، وغير ذلك من الطّامات.

٧- التّحذير من خطر الانزلاق في برامج العولمة الثقافية، بالعمل على إيجاد برامج ثقافية إسلامية بديلة عنها، واستغلال تقنية الاتصالات الحديثة في تحقيق هذه البرامج؛ وذلك من باب «أفضل وسيلة للدفاع هي الهجوم»؛ بمعنى أنّه يجب علينا أن نَعرِض بضاعتَنا عليهم كما يَعرضون بضاعتهم علينا، ويساعدُنا في التفوّقِ عليهم: ما تتميّز به ثقافتنا الإسلامية من التّكامل والتّوازن وتلبية النّاحية الرّوحية في الإنسان إلى جانب النّواحي المادية الآمنة؛ لانضباطها بضوابط الشّريعة الإسلامية الرّبانية الكفيلة بإسعاد مَن يأخذ بها.

---

(١) سنن البيهقي، أحمد بن الحسين، السنن الكبرى وفي ذيله الجوهر النقي، باب إظهار دين النّبي ﷺ على الأديان، حديث رقم (١٩٠٨٨) ٢/ ٣٧٣، ط١، نشر دائرة المعارف النظامية، الهند، ١٣٤٤ هـ، وهو حديث صحيح.

(٢) صحيح مسلم، مسلم بن الحجاج، باب النهي عن الرواية عن الضعفاء، حديث رقم (٦) في المقدمة، ١/ ١٢، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي.

٨- فتح قنوات فضائية عالمية تعمل باستمرارٍ على نشر الثقافة الإسلامية بأسلوب سهلٍ يقوم على بثّ ونشر أساسات الدّين على طريقة السلف الصالح، وعدمِ إدخال عامة الناس في الاختلافات والمسائل التي لا تطيقها عقولُهم؛ متأسِّين في ذلك بما رواه الإمام البخاري في صحيحه، كتاب العلم، من قول عليّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «حدّثوا النّاسَ بما يعرفون، أتُحبّون أن يُكذّب اللهُ ورسولُه ؟»[(١)].

٩- الحذر من الاستناد إلى الأحاديث الموضوعة والضّعيفة في عرض محتويات مادة الثقافة الإسلامية، والحذر من بثّ الروايات التاريخية المكذوبة، ومن الخوض في المسائل العقائدية على طريقة أهل الكلام، الذين لبّسوا على النّاس عقيدتهم، والحذر كذلك من الروايات الإسرائيلية في التفسير، وبالجملة يجب تنقيةُ ما يُعرض على الناس من كلّ دخيل وضار وبعيدٍ عن مقاصد الشريعة.

١٠- وأخيراً؛ أن يحرص الدّاعون إلى الثّقافة الإسلامية على الالتزام الكامل بما يدعون إليه؛ ليؤكد سلوكُهم على صدقهم، وعلى صلاحية الثقافة الإسلامية للتطبيق وتحقيق السعادة لمعتنقيها؛ مما يساعد على الاقتناع بها بسهولة، فكم من الشعوب دخلت في الإسلام من هذه الطريق.

---

(١) صحيح البخاري، محمد بن إسماعيل، باب من خصّ بالعلم قوماً دون قوم، حديث رقم (١٢٧)، ١/ ٣٧، تحقيق محمد زهير الناصر.

المطلب الخامس: مستقبل الثقافة الإسلامية

تشير المؤشِّراتُ الحاليةُ إلى مستقبلٍ واعدٍ بكل خيرٍ للثقافة الإسلامية، نقول ذلك مع يقيننا بأنّ العاقبة للإسلام، والواقع يدلُّ على مدى التّعاسة التي جلبتْها المناهج الوضعية اللادينية للعالم أجمع، وما خلّفتْه تلك المناهج القاصرة من تخلُّف وظلم وفقر وجريمة وتعاطٍ للمخدرات والمسكرات وكثرةِ حالات الانتحار حتى في الدول الغنية- لخوائها من الدّين الحقّ الذي يغذي الرّوح- مما يعطي دلالاتٍ واضحةً على مدى حاجة الناس لهذا الدين، وكما يُقال: فالكُرة الآن في ملعب المسلمين؛ تنتظر بفارغ الصبر من يلقيها بقوة لتصل إلى أبعد مدى في هذا العالم الذي يعاني جميعَ أنواع النّكد، لتنفُضَ عنه غبارَ الكفر، وتخلصَّه من تعاسته التي طال أمَدُها، واستقرّ في النفوس كمَدُها، وكلما تأخر المسلمون عن ذلك؛ حملوا أوزار هؤلاء الذين لم تُتَح لهم الفرصة ليفهموا الإسلام على حقيقته، وساعد على تضييع تلك الفرصة سدَنةُ الشّر في هذا العالم؛ ممن أعمَى اللهُ بصائرَهم عن الحق؛ فأرادوا أن تَعمى معهم بصائر الآخرين، فكم من الأجر والثواب ينتظر الدعاةَ إلى الله تعالى، يدعون إلى الله في وقتٍ جفّت فيه منابعُ الخير تنتظر من يفجّرها، وغابت فيه علامات الحق تنتظر من يُظهرها.

وقد أحس بهذا الهم وتحدثّ به؛ بعضُ الغيورين من علماء الغرب، للحالة التي وصل إليها العالَم الغربي بمنأىً عن الدين، ذلك النأْيُ الذي أدّى إلى اصطدامه بالفطرة الإنسانية التي يستكِن في أعماقها الحاجة إلى التّدين أبداً، ورغم التقدم العلمي الهائل الذي وصل إليه الغرب؛ فإنه ما زال عاجزاً عن حلّ مشكلة الدين؛ لأنّ الذي أوقعه في هذه الحيرة هو دين الكنيسة الفاسد، فأنَّى له أن يكون جاداً في البحث عن الدين الحق وقد انفصم عنه انفصاماً كاملاً، وبات يتوجّس خيفة من كلّ دين ؟!

يقول الأستاذ هنري بيرانجيه: «إنّ المسألة الدينية أهم ما يشغل العالمَ المتمدنَ اليومَ؛ لأن مستقبل الأمم المتحضرة يتوقف على حلِّها»[١]، وحلُّها في الإسلام قد صرّح به بعض الذين أنصفوا الإسلام من الغربيين، ومنهم الكاتب الإيرلندي «برناردشو» الذي قال: «إنّ أوروبا لن يمضي عليها قرنان حتى تكون قد اتخذت الإسلام ديناً»[٢]، وها نحن نرى بوادرَ ذلك من خلال رؤية المئات يدخلون في الإسلام يومياً؛ فعلى سبيل المثال: أصبحت الديانة الإسلامية في فرنسا في المرتبة الثانية بعد المسيحية من حيث العدد، وفرنسا هي التي صَدَّرَت العلمانية إلى العالم.

والذي سيسهم في هذا التوجُّه نحو الإسلام إضافة إلى ما أوردناه: ثباتُه أمام التقدّم العلمي الهائل، وقدرتُه على احتوائه وسبْقِه إلى الحديث عنه قبل ظهوره، مصداقاً لقول الله تعالى: ﴿ سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ﴾ [فصلت: ٥٣]، وهذا من عوامل بقاء الإسلام ونُصرته من قِبل ربّ العالمين الذي وعد بذلك وهو لا يخلف الميعاد.

ويقول الفيلسوف الفرنسي «كارو» لافتاً النظرَ إلى مواصفات الديانة المستقبلية: «أصول الديانة الطبيعية هي الاعتقاد بوجود إلهٍ مختارٍ خلقَ الكائنات وعُنِيَ بها، وهو متميز عن العوالم الكونية وعن النوع الإنساني، ووجود روحٍ للإنسان متصفة بالإدراك والحرية، محبوسة في هذا الجثمان المادي أبداً لتُبتلى فيه، وهذه الروح تستطيع بإرادتها أن تطهِّر هذا الجثمانَ وتنقيه إذا عرجت به نحو السماء، ويمكنها أن تُسفله بإخلادها إلى المادة الصماء...»[٣]، فهذا

(١) وجدي، محمد فريد، المستقبل للإسلام، ص ١١٤.
(٢) المرجع السابق، ص ١١٠.
(٣) المرجع السابق، ص ١١٥.

اعتراف بألوهية الله تعالى، وتفرُّده عن النوع الإنساني، واعتراف بأن الفطرة والجبلّة الإنسانية تدعو إلى الدين والأخلاق.

وينقل الأستاذ محمد قطب عن المؤرخ «توينبي» قولَه: «صحيح أنّ الوحدة الإسلامية نائمة، ولكن يجب أن نضع في حسابنا أنّ النائم قد يستيقظ إذا ثارت البروليتاريا العالمية للعالم المتغرّب ضد السيطرة الغربية، ونادت بزعامة معادية للغرب، فقد يكون لهذا النداء نتائج نفسانية لا حصر لها في إيقاظ الروح النّضالية للإسلام، حتى ولو أنها نامت نومةَ أهلِ الكهف، إذ يمكن لهذا النداء أن يوقظ أصداء التاريخ البطولي للإسلام... فإذا سَبّبَ الوضعُ الدَّوليُّ الآن حرباً عنصريةً؛ فيمكن للإسلام أن يتحرك ليلعب دورَه التاريخي مرة أخرى، وأرجو أن لا يتحقق»[١].

فهذا القول وإن كان لا يُقبل واقعاً إلا من خلال سُنة الله تعالى في التغيير والنّصر- وهي نُصرة من ينصرون الدينَ دون مَن يخذلونه؛ كحال كثيرٍ من مسلمي هذا الزمن- إلا أنّ الأدلة الشرعية تدل على أنّ العاقبةَ للإسلام، وأنّ الله سيظهره على جميع الأديان، ومن تلك الأدلة الصريحة قوله تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرۡسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلۡهُدَىٰ وَدِينِ ٱلۡحَقِّ لِيُظۡهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡمُشۡرِكُونَ ﴾ [التوبة: ٣٣]، فقد ذكر بعضُ أهل التفسير[٢] أن هذا الظهور سيقع في زمن نزول عيسى عليه السّلام، ونحن نعلم أنّه مؤيَّد ومَن معه بتأييدٍ من الله، مما يشير إلى أن نصر الإسلام في آخر أمر الصراع مع الباطل؛ هو أمر قدريّ لا بُدّ من وقوعه حتى ولو تخلى عن نُصرتِه أهلُه، والمعنى في ذلك ذكَرَتْهُ الآيةُ

(١) محمد قطب، مذاهب فكرية معاصرة، ص ٦٥٢.

(٢) الطبري، محمد بن جرير، جامع البيان، ١٤/ ٢١٥، تحقيق أحمد شاكر.

الكريمة، وهو كون الإسلام هو الدّين الحقّ؛ والحقّ يعلو ولا يُعلى عليه؛ لذا فإنّ الله تعالى قد أسند فعل الإظهار في الآية إلى ذاته الشريفة، وقال في هذا المعنى رسولُنا الكريمُ عليه أفضل الصلاة وأزكى التّسليم: «بشِّرْ هذه الأمةَ بالسَّناء والنّصر والتّمكين، فمَن عمِل منهم عمَلَ الآخرة للدنيا؛ لم يكن له في الآخرة نصيب»[1].

(١) مسند الإمام أحمد بن حنبل، حديث رقم (٢١٢٢٠)، ٣٥/ ١٤٥، قال محققه الشيخ شعيب الأرناؤوط: إسناده قوي.

الخاتمة

وتشتمل على ملخصٍ للبحث وعلى التوصيات:

اشتمل هذا البحث على نُبذة عن تاريخ الغزو الثقافي الحديث وبيان خطورته وامتداداته وآثاره ومظاهره، وعلى ضوابط الأخذ من الثقافات المعاصرة، وعلى ذِكر بعض الآيات والأحاديث التي تحذر من الغزو الثقافي والانصياع له، وتطرَّق إلى ضرورة تدريس مادة الثقافة الإسلامية التي تجمع بين الأصالة والمعاصرة، وبيّنَّ سمات الثقافة الإسلامية القادرة على مواجهة الغزو الثقافي الحديث، والأساليب الناجعة في مقاومة الغزو الثقافي، وخُتم بالحديث عن مستقبل الثقافة الإسلامية.

وأمّا التوصيات فيما يخصُّ هذا المحور فهي ما يلي:

١- ضرورة تشكيل وانتخاب لجنة خاصة تتألف من خِيرة العلماء والمفكرين ممن لهم باع طويل في الكتابة عن الغزو الثقافي على مستوى العالم الإسلامي، وبإشرافٍ مباشر من رابطة العالم الإسلامي؛ تعمل هذه اللجنة على متابعة ورصد كل ما يستحدثه الغرب من وسائل الغزو الثقافي؛ بغرض التنبيه والتحذير وبيان وجه مخالفته للثقافة الإسلامية وطُرق مواجهته، وتوفير كافة أشكال الدعم لهذه اللجنة لتسهيل قيامها بمهمتها على أحسن الوجوه وأكملِها وأتمِّها.

٢- جمْع كلّ ما يَصدر عن هذه اللجنة من دراسات وأبحاث وقرارات في موسوعة خاصة؛ تسمى: «موسوعة الثقافة الإسلامية والغزو الثقافي».

٣- إنشاء قناة فضائية وأخرى إليكترونية، تضطلعان بمهمة بثّ الثقافة الإسلامية وبيان مزاياها والتّحذير من الانحراف عنها، وعرض بعض ما تتوصل إليه اللجنة المشار إليها من دراسات وأبحاث.

٤- تتعاون اللجنة مع مؤسسات الإفتاء والبحث العلمي في العالم الإسلامي لتكون رديفاً لها، من خلال الفتاوى التي تَصدر عنها بشأن الانحرافات الفكرية التي تنشأ في الأمة الإسلامية؛ بحيث تُشفع دراسات اللجنة بتلك الفتاوى فتعطيَها أهميةً لدى المسلمين.

٥- منح جائزة لكل من يسهم في مقاومة الغزو الثقافي من خلال أبحاثه ودراساته وما يتعلق بذلك.

٦- التّنسيق مع وزارات التربية والتعليم في العالم الإسلامي للعمل على تدريس مادة الثقافة الإسلامية في المرحلة الثانوية؛ حيث الفوَران العقلي وبداية البحث عن الذات.

٧- التركيز على مقاومة الغزو الثقافي المتعلق بالمرأة المسلمة؛ لما يترتب عليه من فساد كبير يشير إليه حديث النّبي ﷺ: «**ما تركتُ بعدي فتنةً أضرَّ على الرجال من النساء**»[(١)].

والحمد لله رب العالمين

(١) صحيح البخاري، حديث رقم (٥٠٩٦)، ١٢/ ٥٨٣، مرجع سابق.

مراجع البحث

١- ابن عبد البر، يوسف بن عبد الله، نشر وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بالمغرب، ١٣٨٧هـ.

٢- ابن كثير، إسماعيل بن عمر، تفسير القرآن العظيم، دار طَيبة، ١٤٢٠ هـ.

٣- ابن منظور، محمد بن مُكرّم، لسان العرب، دار صادر، بيروت، بدون تاريخ.

٤- أبو الحسين، أحمد بن فارس، معجم مقاييس اللغة، دار الفكر، ١٩٧٩م.

٥- أبو يحيى وآخرون، محمد حسن، الثقافة الإسلامية ثقافة المسلم وتحديات العصر، دار المناهج، عمّان الأردن، ٢٠٠٣ م.

٦- التميمي وآخرون، عز الدين الخطيب، نظرات في الثقافة الإسلامية، دار الفرقان، عمّان الأردن، ٢٠١١م.

٧- جريشة والزيبق، علي محمد ومحمد شريف، أساليب الغزو الفكري للعالم الإسلامي، دار الاعتصام، القاهرة، ١٩٧٩م.

٨- الرقب، صالح حسين سليمان، العولمة آثارها وأساليب مقاومتها، بحث نُشر في كتاب مؤتمر العولمة وانعكاساتها على العالم الإسلامي، عمّان الأردن، ٢٠٠٨ م.

٩- سنن البيهقي، أحمد بن الحسين، السنن الكبرى مع الجوهر النقي، دائرة المعارف النظامية، الهند، ١٣٤٤هـ.

١٠- سنن الترمذي، محمد بن عيسى، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، تحقيق أحمد شاكر، القاهرة، ١٣٩٥ هـ.

١١- صحيح البخاري، محمد بن إسماعيل، دار طَوق النجاة، ١٤٢٢ هـ.

١٢- صحيح مسلم، مسلم بن الحجاج، دار إحياء التراث العربي، بيروت، بدون تاريخ.

١٣- الطبري، محمد بن جرير، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، مؤسسة الرسالة، ١٤٢٠ هـ.

١٤- عبد السّتار، فتح الله سعيد، بحث نشرتْه جامعة الإمام محمد بن سعود في كتابٍ بعنوان: الغزو الفكري والتيارات المعادية للإسلام، الرياض، ١٤٠١ هـ.

١٥- الفيروز آبادي، محمد بن يعقوب، القاموس المحيط.

١٦- كوكش، يحيى رامز، والفتياني، خالد إبراهيم، الواضح في الثقافة الإسلامية، دار المسيرة، عمّان، الأردن، ٢٠٠٨ م.

١٧- محمد قطب، مذاهب فكرية معاصرة،دار الشروق، القاهرة، ١٩٨٨ م.

١٨- محمد قطب، واقعنا المعاصر، دار الشروق، القاهرة،١٩٩٧ م.

١٩- مسند الإمام أحمد بن حنبل، مؤسسة الرسالة، بيروت، ٢٠٠١م.

٢٠- هندي وآخرون، صالح، الثقافة الإسلامية، دار الفكر، عَمّان الأردن، ٢٠٠٠م.

٢١- وجدي، محمد فريد، المستقبل للإسلام، دار الكاتب العربي، بيروت، بدون تاريخ.